ابلاكهم فتلك البيوت المشار اليها مساكنهم هلكوا بالكلية حتى لم تسكن من بعدهم الا زمانا
قليلا مقدار سكون المسافرين يوما او بعض يوم وليسوا بهذا السكون وارثيهم يقومون
مقامهم حتى كانهم لم يهلكوا بل كنا نحن الوارثين وان زعموا ان الله تعالى لو اخذهم لبطرهم
لاخذنا بالكفر فقال وما كان ربك الذى بعثك رحمة للعالمين مهلك القرى حتى يبعث فى امها
التى ينسب اليها ما حولها نسبة الولد الى امه رسولا يزيل عذرهم اذ يتلو عليهم آياتنا
الدالة على ظلمهم اذ الظلم المجهول لصاحبه كالمعدوم فى زعمه وما كنا بمقتضى عظمتنا المقتضيه
عظيم جودنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اذ بدون ذلك يخل بجودنا وكيف يخافون
على متابعة الهدى التخطف وغاية ما فيه سلب مال او نوال وما اوتيتم من شىء فانه وان جل
فمتاع الحيوة الدنيا الخسيسة الفانية وان زاد على المتاع فهو زينتها المناسبة لحالها
والله تعالى يعوضكم بذلك ما عنده وما عند الله خير متاعا وزينة لانه بحسب عظمته ولو
لم يكن فيه سوى انه ابقى لكفى اتؤثرون الخسيس الفانى على الشريف الباقى افلا تعقلون فلو
قبل العقل لا يامر بترك الحاضر المتيقن للغائب المشكوك يقال ما كان موعودا من عند
عظيم قادر فليس بمشكوك والحاضر اذا كان يعقبه ضرر يترك بلا عوض الى الموعود
المحقق الشريف الباقى الذى لا يعقبه ضرر والحاضر الخسيس الفانى الذى يعقبه اعظم وجوه
الضرر افمن وعدناه بمقتضى عظمتنا المقتضية شرف الموعود وعدا حسنا لا يعقبه ضرر وعلمنا
لا يحتمل الكذب فهو لاقيه لا محالة كمن متعناه متاعا لو طالت مدته كان متاع الحيوة الدنيا
التى جميع مدتها اقل من ساعة من نهار ثم لا يقتصر فى حقه على سلب المتاع بل هو يوم القيمة
يكون صاحبه من المحضرين فى النار فلو لم يكن له فيها عذاب لكفى به زاجرا وانما كان متاعهم
سبب احضارهم لنسبتهم اياه الى الشركاء ابتداء واستدامة وتوقعهم منهم دفع ما يعقبه
من الضرر ولا يفيدونهم شيئا من ذلك بل يسفهونهم يوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين
كنتم تزعمون ان لهم بهذه الفوائد يتبرؤن الى من عبدوهم من الملائكة والصالحين والشياطين
قال الذين حق عليهم القول منهم وهم الشياطين اذ منهم الاغواء ربنا هؤلاء الذين اغوينا
بايهام هذه الفوائد منا فلا تكلفنا تحصيلها لهم ولا تزدنا عذابا باغوائهم فانا اغويناهم
ليعبدونا كما غوينا بمحبة الشرك فكان من قلة عقلهم اتباع الغواة فلم يكن لنا فى ذلك مزيد
تاثير ثم انا لم نبق على تلك الدعوى ليستمر علينا عذابها اذ تبرأنا اليوم من شركهم متوجهين
اليك والى توحيدك ولم يكن شركهم بنا لانهم ما كانوا ايانا يعبدون اذ لم يخصصونا بالعبادة
بل عبدوا اهويتهم ايضا فان عذبتنا على شركهم فبقدر شركهم لنا وقيل للمشركين بعدما تبرؤا عنهم

وسفهوهم

وسفهوهم ادعوا شركاءكم ليتحملوا عنكم العذاب الذى كان بمقدار شرككم فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم فضلا عن التحمل ورأوا العذاب على شركهم الذى لاجله نسبوا اتباعهم اليهم لا بسبب
الا بالهدى السابق فتمنوا لو انهم كانوا يهتدون بدل ذلك المتاع الذى دعاهم الى
الشرك فاى عقل يامر بايثار هذا المتاع على ذلك المتمنى ولا يجدونه لعميهم فانه يوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين الداعين الى الهداية فعميت عليهم الانباء لتعاميهم فى الدنيا
يومئذ فهم لا يتساءلون اى لا يسال بعضهم بعضا عما جرى فضلا عن ان يجيب فاين لهم
هذا المتمنى وهذا وان كان شان من لم يجب الرسل فى الدنيا فانما هو فى حق المصر فاما من
تاب عن ترك الاجابة واجاب ولو بعد مدة بان آمن وكمل اجابته بان عمل صالحا فعسى ان
يكون من المفلحين الذين اجابوا من اول الامر فنالوا درجة الصدر لقية وامكنهم الجواب
الحسن فى مقام المكالمة الالهية هى القرب ومقام الشفاعة لانهم اذا استناروا بهذه
الانوار حصل لهم الاستبصار بشان الرسل فاستناروا ببعض انوارهم المفيدة لهم
ما ذكرنا ولا يلزم عموم الفلاح كل مجيب اولا واخرا كما لا يلزم عموم الاجابة اذ ربك الخالق
للكل يخلق ما يشاء ولا يلزم من ذلك ان يخلق الفلاح فى الفاسق والكافر لانه يختار
امر المعرفة وضده لاخرى والفلاح وضده وان ترتبا على فعل المكلفين باختيارهم
ما كان لهم الخيرة التى بها الاستقلال من غير خلق الداعية وتحريك الاعضاء لهم وكيف
يكون الخلق والخيرة لغيره وهو مشاركه سبحان الله الذى قد تنزه باعتبار ذاته وصفاته
وافعاله عن المشاركة اذ المشاركة توجب المساواة وتعالى عما يشركون وهو انما
يواخذهم على هذه الافعال بحسب بواطنهم القبيحة وما يظهر منهم من القبائح اذ ربك
يعلم ما تكن اى تخفى صدورهم من الاعتقادات والاخلاق والضمائر وما يعلنون من
الافعال والاقوال والكل وان كان من الله اذ هو الله خالق الكل لا خالق سواه اذ
لا اله الا هو لكنه يفعل الاحسان بمن خلقه محسنا والاساءة بمن خلقه مسيئا وخلقه
محسنا ومسيئا بحسب استعداده اذ له الحمد فى الاولى فى رعاية الاستعداد والآخرة فى
رعاية البواطن والظواهر ولا حكم للاستعدادات والبواطن والظواهر عليه بل له
الحكم على الكل ولو فرض لها الحكم فليس ذلك حكم الغير عليه اذ اليه ترجعون اذ الكل مظاهر
باطنه او ظاهره او صور علمه فان زعموا ان هذا انما يتم فى الحيوانات لو كان الفاعل فيها لا يسبب
فيهما واحدا لكن بعض ما لا ينسب اليها منسوب الى الحركات السماوية قل انما يكون لها
الهية لو كان لها منع عن فعله وارادته ارأيتم اى اخبرونى بل للكواكب منع الله من ارادته